خطبة صلاة الجمعة 19/ 12/ 2014 للشَّيخ الطَّبيب محمَّد خير الشَّعَّال, في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

(سَ جَ دَ)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهدِهِ الله فهو المهتَدِ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرْشِداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيٍّ اجتباه، وهدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدِّين كلِّه ولو كَرِه الكافرون، ولو كَرِهَ المشركون، ولو كَرِهَ مَن كَرِه، اللَّهم صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير

قال تعالى في وصف المؤمنين: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: 112]

وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: 77]

وقال: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ﴾ [الفتح: 29]

(سيماهم في وجوههم من أثر السجود) قيل: هو ما يلتصقُ بوجوههم من الأرض عند السجود.

وقيل: هو نُورُ الْخُشُوعِ، فَإِنَّهُ يُشْرِقُ مِنَ الْبَاطِنِ عَلَى الظاهر، وهو الأصح.

وقيل: هي الغُرر التي تكون في وجوههم يوم القيامة من أثر الوضوء.

أخرج البخاري في (باب فضل السجود) بإسناده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «حَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ».

وأخرج مسلم في (بَابُ فَضْلِ السُّجُودِ وَالْحَثِّ عَلَيْهِ) بإسناده عن مَعْدَان بْن أَبِي طَلْحَةَ الْيَعْمرِيّ، قَالَ: لَقِيتُ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ أَعْمَلُهُ يُدْخِلُنِي اللهُ بِهِ الْجَنَّةَ؟ أَوْ قَالَ قُلْتُ: بِأَحَبِّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللهِ، فَسَكَتَ. ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَسَكَتَ. ثُمَّ سَأَلْتُهُ الثَّالِثَةَ فَقَالَ: سَأَلْتُ

عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ لِلَّهِ، فَإِنَّكَ لَا تَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً، إِلَّا رَفَعَكَ اللهُ بِهَا دَرَجَةً، وَحَطَّ عَنْكَ بِهَا خَطِيئَةً».

وأخرج عن رَبِيعَة بْنُ كَعْبٍ الْأَسْلَمِيّ، قَالَ: كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ فَقَالَ لِي: «سَلْ» فَقُلْتُ: أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ. قَالَ: «أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ» قُلْتُ: هُوَ ذَاكَ. قَالَ: «فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ».

عنوان خطبة اليوم: **(س ج د)**

السِّينُ وَالْجِيمُ وَالدَّالُ أَصْلٌ وَاحِدٌ مُطَّرِدٌ في اللغة يَدُلُّ عَلَى تَطَامُنٍ وَذُلٍّ. يُقَالُ سَجَدَ، إِذَا تَطَامَنَ. وَكُلُّ مَا ذَلَّ فَقَدْ سَجَدَ.

جاء في مفردات غريب القرآن:

أصل السُّجُودُ: التّطامن والتّذلّل، والسجود لله التّذلّل له وعبادته.

وورد السجود لله في القرآن على ضربين: سجود اختيار، وسجود تسخير.

أمَّا سجود الاختيار فليس ذلك إلا للإنسان، وبه يستحقّ الثواب، نحو قوله تعالى: ﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾ [النجم: 62]، ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ [العلق: 19].

وأمَّا سجود التسخير، فهو للإنسان، والحيوانات، والنّبات، وعلى ذلك قوله: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَظِلالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصالِ﴾ [الرعد: 15]، فهذا سجودُ تسخيرٍ، وهو الدّلالةُ الصامتةُ الناطقةُ المنبّهةُ على كونها مخلوقةً، وأنّها خلقُ فاعلٍ حكيم.

وقوله: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الْأَرْضِ مِنْ دابَّةٍ وَالْمَلائِكَةُ وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [النحل: 49]، ينطوي على النّوعين من السّجود (التّسخير والاختيار).

وأما قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا﴾ [البقرة: 34]، فمعناه: أُمِروا بأن يتّخذوه قبلة، أي: اسجدوا لله مستقبلين جهة آدم، كما نسجد لله مستقبلين جهة الكعبة.

وقيل: أمروا بالتّذلّل له والقيام بمصالحه ومصالح أولاده، فائتمروا إلّا إبليس.

وأما قوله تعالى لبني اسرائيل: ﴿ادْخُلُوا الْبابَ سُجَّداً﴾ [النساء: 154]، فمعناه: متذلّلين منقادين.

وأما قوله تعالى عن إخوة يوسف: ﴿وَخَرُّوا لَهُ سُجَّداً﴾ [يوسف: 100] فمعناه: متذلّلين. وقيل: كان السّجود على سبيل الخدمة في ذلك الوقت سائغاً.

أيها الإخوة:

التذلل لله تعالى من أسمى مظاهر العبودية له جل جلاله، والسُّجُود بين يدي الله تعالى أَعْلَى دَرَجَاتِ الِاسْتِكَانَةِ والتذلل؛ لأنك تُمَكِّنُ أَعَزَّ أَعْضَائِكَ (وَهُوَ الْوَجْهُ) مِنْ أَذَلِّ الْأَشْيَاءِ (وَهُوَ التُّرَابُ).

أدبُ العبيـــــــــدِ تـــــــــذلُّلٌ ... والعبـــــــدُ لا يـــــــدعُ الأدبْ

فـــــــإذا تكامـــــــلُ ذلُّـــــــه ... نـــــالَ المحبـــــةَ واقـــــتربْ

قال الإمام الغزالي: (وَإِنْ أَمْكَنَكَ أَنْ لَا تَجْعَلَ بَيْنَ جبينك والتراب حَائِلًا فَتَسْجُدَ عَلَى الْأَرْضِ فَافْعَلْ، فَإِنَّهُ أَجْلِبُ لِلْخُشُوعِ وَأَدَلُّ عَلَى الذُّلِّ، وَإِذَا وَضَعْتَ تَفْسَكَ مَوْضِعَ الذُّلِّ لله فَاعْلَمْ أَنَّكَ وَضَعْتَهَا مَوْضِعَهَا وَرَدَدْتَ الْفَرْعَ إِلَى أصله، فإنك مِنَ التُّرَابِ خُلِقْتَ وَإِلَيْهِ تعُودُ، فَعِنْدَ هَذَا جَدِّدْ عَلَى قَلْبِكَ عَظَمَةَ اللَّهِ، وَقُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى، وَأَكِّدْهُ بِالتَّكْرَارِ فَإِنَّ الْكَرَّةَ الْوَاحِدَةَ ضعيفةُ الأثر، فإذا رقَّ قلبُك فَسلْه حَاجَتَكَ)

وارفع له شكواك، وبُثَّ له شوقَك، وأخبرْه عما نزل بك، أو ما أردتَ من الدعاء.

واجعله سجودَ استغفار مرة، وسجود استعاذة مرة، وسجود افتقار مرة، وسجود محب مرة، وسجود مناجاة مرة، وسجود رفع طلبات مرة ومرة.

ففي الحديث: «**أَقرَبُ ما يكونُ العبدُ من رَبِّهِ عَزَّ وجَلَّ وَهُو سَاجِدٌ، فأكثِرُوا الدُّعَاءَ**» [مسلم]

أيها الإخوة:

تقرؤون في كتب تراجم النبلاء والأولياء والصالحين أحوالاً لهم مع السجود لله:

فعن أَصْبَغ بْنِ زَيْدٍ، قَالَ: (كَانَ أُوَيْسٌ الْقَرَنِيُّ إِذَا أَمْسَى يَقُولُ: هَذِهِ لَيْلَةُ الرُّكُوعِ فَيَرْكَعُ حَتَّى يُصْبِحَ، وَكَانَ يَقُولُ إِذَا أَمْسَى: هَذِهِ لَيْلَةُ السُّجُودِ فَيَسْجُدُ حَتَّى يُصْبِحَ، وَكَانَ إِذَا أَمْسَى تَصَدَّقَ بِمَا فِي بَيْتِهِ مِنَ الْفَضْلِ مِنَ الطَّعَامِ وَالثِّيَابِ ثُمَّ يَقُولُ: اللهُمَّ مَنْ مَاتَ جُوعًا فَلَا تُؤَاخِذْنِي بِهِ وَمَنْ مَاتَ عُرْيَانًا فَلَا تُؤَاخِذْنِي بِهِ).

وعن الْعَلَاءِ بْن عَبْدِ الْكَرِيمِ الْأَيَامِيّ، قَالَ: (كُنَّا نَأْتِي مُرَّةَ الْهَمْدَانِيَّ فَيَخْرُجُ إِلَيْنَا فَنَرَى أَثَرَ السُّجُودِ فِي جَبْهَتِهِ وَكَفَّيْهِ وَرُكْبَتَيْهِ وَقَدَمَيْهِ، قَالَ: فَيَجْلِسُ مَعَنَا هُنَيْئَةً ثُمَّ يَقُومُ فَإِنَّمَا هُوَ رُكُوعٌ وَسُجُودٌ).

وقال أَبُو بَكْرِ بْنُ عَيَّاشٍ: (رَأَيْتُ حَبِيبَ بْنَ أَبِي ثَابِتٍ سَاجِدًا، فَلَوْ رَأَيْتَهُ قُلْتَ: مَيِّتٌ) يَعْنِي مِنْ طُولِ السُّجُودِ.

قَالَ سَعِيْدُ بنُ جُبَيْرٍ: (قَالَ لِي مَسْرُوْقٌ: مَا بَقِيَ شَيْءٌ يُرْغَبُ فِيْهِ، إِلَّا أَنْ تُعَفِّرَ وُجُوْهَنَا فِي التُّرَابِ, وَمَا آسَى عَلَى شيءٍ إِلَّا السجود لله تعالى).

وَعَنْ عَبْدِ الكَرِيْمِ السُّكَّرِيِّ، قَالَ: (كَانَ عَبْدُ اللهِ ابنُ المبارك يُعجِبُه إِذَا خَتَمَ القُرْآنَ أَنْ يَكُوْنَ دُعَاؤُهُ فِي السُّجُودِ).

أيها الإخوة:

في كتب الفقه مسألةٌ فقهية فيها فائدة تربوية.

يقول الشافعية: من نواقض الوضوء النومُ، إلا أن من نام على هيئة المتمكن لم ينتقض وضوؤه، ولكنْ ما حكم من نام في سجود الصلاة؟.

اختلف الفقهاء في المسألة، والمشهور أنَّه إن طالَ نومُه فيه انتقض، وإن لم يطُل صح الوضوء.

وبعيداً عن المادة الفقهية أنظر إلى الحالة التربوية في هذه المسألة، تلك التي تشير إلى أناس ينامون في سجودهم ما كان ذلك إلا لأمرين: إمَّا سجودٌ طويلٌ ينام صاحبه فيه، وإمَّا سجودٌ من متعَبٍ لم يرضَ مع تعبه وعنائه أن يفوته حزبُه من صلاة الليل والسجود لله تعالى فيها.

فيا من تنام عن الصلاة، اعلم أن أناساً ينامون فيها!.

ويا من تنام متابعاً أقنية الفضاء ومواقع النت، اعلم أن أناساً ينامون سُجَّداً بين يدي الله!.

إذا مـــا الليـــلُ أظلَمَ كابَـــدوه ... فيُســـــفِرُ عنهُم وهمُ ركـــــوعُ

أطـــارَ الخـــوفُ نـــومَهُمُ فقـــاموا ... وأهـــلُ الأمن في الـــدنيا هجـــوعُ

لهُم تحتَ الظلام وهُم ســـــــجودٌ ... أنينٌ منـــــهُ تنفـــــرجُ الضـــــلوعُ

وخُـــرسٌ بالنهـــارِ لطـــولِ صـــمتٍ ... علَيهِم من ســـــكينَتِهم خشـــــوعُ

عَنِ الْحَسَنِ قَالَ: أُنْبِئْتُ أَنَّ الْعَبْدَ إِذَا نَامَ وَهُوَ سَاجِدٌ أَنَّ اللَّهَ يَقُولُ: انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي رُوحُهُ عِنْدِي، وَجَسَدُهُ فِي طَاعَتِي.

كان يوسف بن أسباط يقول: يا معشر الشباب، بادروا بالصحَّة قبل المرض فما بقي أحدٌ أحسده إلا رجلٌ يُتِمُّ ركوعه وسجوده، وقد حِيل بيني وبين ذلك.

وقال عقبة بن مسلم: ما من خصلة في العبد أحب إلى الله عز وجل من رجل يحب لقاء الله عز وجل، وما من ساعةٍ العبدُ فيها أقرب إلى الله عز وجل منه حيث يخرُّ ساجداً.

ورووا عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كان لا يسجد إلا على التراب.

أيها الإخوة:

يتناولُ الدارسون من علماء الطب والطاقة والنفس الصلاةَ وأعمالها بالبحث والدرس، وتطالعُنا دراساتهم بالعجب يوماً بعد يوم.

فيتحدثون عن أثر السجود على كفاءة الدورة الدموية بالدماغ، ويؤكدون الأثرَ الإيجابيَّ للسجود في تقليل إمكانية الإصابة بالزهايمر بالنسبة لكبار السن.

ويتحدثون عن أثر السجود من تخليص الجسم من الشحنات الكهرومغناطيسية المؤذية لخلايا الجسم وأجهزته.. كتبت إحدى الدوريات المتخصصة:

يستقبل جسمُك قدراً كبيراً من الأشعة الكهرومغناطيسية يومياً، تهديها إليك الأجهزة الكهربائية التي تستخدمها، والآلات المتعددة التي لا تستغني عنها، والإضاءة الكهربائية التي لا تحتمل أن تنطفئ ساعةً من نهار..

أنت جهازُ استقبال لكمياتٍ كبيرة من الأشعة الكهرومغناطيسية، أي: أنك مشحون بالكهرباء وأنت لا تشعر.. لديك صداعٌ، وشعورٌ بالضيق، وكسلٌ وخمول، وآلام مختلفة كيف الخلاص إذن؟.

توصَّل باحثون إلى أن أفضل طريقة لتخلّص جسم الإنسان من الشحنات الكهربائية الموجبة التي تؤذي جسمه أن يضع جبهتَه على الأرض أكثر من مرة، لأنَّ الأرض سالبةٌ فهي تسحب الشحنات الموجبة كما يحدث في السلك الكهربائي الذي يُمَدُّ إلى الأرض في المباني لسحب شحنات الكهرباء من الصواعق إلى الأرض.. الأفضل أن تُوضَع الجبهةُ على التراب مباشرةً! والأفضل أن تضع جبهتك على الأرض وأنت في اتجاه مركز الأرض، لأنَّك في هذه الحالة تتخلص من الشحنات الكهربائية بصورة أفضل وأقوى!.

ولعلكم تعلمون -أيها الإخوة- أنَّ مركز اليابسة على الأرض هو الكعبة المشرفة باتفاق الجغرافيين جميعاً.

إذن فالسجود لله تعالى هو الحالة الأمثل لتفريغ تلك الشحنات الضارة.. وهو الحالةُ الأمثل لقربك من خالق هذا الكون ومبدعه.. (واسجد واقترب).

ختاماً:

قال أحد الصالحين: أَعلمُ وصفةً لقضاء الحاجات!.

إذا نزلتْ بك شدةٌ، أو عرضتْ لك حاجةٌ، فلا تخبرْ بها أحداً، ولكن قم قبل الفجر بساعةٍ فصل ركعتين وقل في سجودك: يا سيدي الأمر كيت وكيت... أخبرْه وهو العليم، واسألْه وهو الكريم، واضرعْ إليه وهو العظيم.

ثم إذا أصبح الصباح فاسعَ بها بين الناس، فإنها تُقضَى بإذن الله.

كمالُ سجود الأعضاء أن تسجد على سبعةٍ (الكفين، والركبتين، وأصابع القدمين، والجبهة مع الأنف). وكمالُ سجود الأرواح أن يسجد قلبُك سجدةً تدوم فلا تنقضي.

قيل لِبَعْضِ الْعَارِفِينَ: أَيَسْجُدُ الْقَلْبُ؟ قَالَ: نَعَمْ يَسْجُدُ سَجْدَةً لَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ مِنْهَا إِلَى يَوْمِ اللِّقَاءِ.

والحمد لله رب العالمين